# مسلسلات فضح السلطة

□أ.د. قاسم حسين صالح

يعدّ المسلسل السوري (الولادة من الخاصرة) الذي عرض جزؤه الأول في رمضان العام الماضي، ويعرض جزؤه الثاني في رمضان الحالي ٢٠١٢ ، من أنضج وأجرأ الأعمال الدرامية التلفزيونية مضمونا وإخراجا وتمثيلا، بما فيه مقدمته الغنائية المميزة موسيقا وصوتا وأداءً. فلقد استطاع الكاتب سامر رضوان والمخرجة رشا شربتجي التعرض لأربع قضايا حياتية معاصرة، تناولت الأولى حالة شاب "جابر" من الوسط الشعبي..مسالم، فقير،محروم،اكتشف بعد معاناة أن طيبته هي سبب مصائبه التي صيرته ضعيفا ذليلا، فيلجأ إلى مصدر قوة "شقاوه – أبو نبال" وتاجر مخدرات ليميت الإنسان الطيب في داخله ويتحول إلى نقيضه، ليقينه انه يعيش في مجتمع يحترم الإنسان القوي ويستضعف الطيب المسالم. ويتناول في المحور الثاني عقوق الابن للأب الطيب، وصراع القيم بين جيل شباب صاعد يرى أن المجتمع تحكمه قيم مادية، وجيل كبار يريد أن يربّي أبناءه على قيم مثالية. وكيف أن الأب الذي عصاه الابن وسار في طريق الرذيلة،عاقب نفسه ولم يعاقب ابنه! محمّلا شخصه الشعور بالذنب إنه ما عرف كيف يربّي. وتناول المحور الثالث أوجاع الفقراء الذين يعيشون في نظام تنعدم فيه العدالة الاجتماعية..فيما تناول المحور الرابع قضية ضابط مخابرات "رؤوف" يستغل منصبه في إشباع حاجاته السادية وانحرافاته الجنسية بقسوة وحشيه، مولدّا الانطباع لدى المشاهد بأن الذي يعمل في أجهزة المخابرات وأمن النظام يكون عديم الذمة والضمير والأخلاق. وتتجلى نباهة المؤلف وذكاؤه في تسمية عمله بـ (الولادة من الخاصرة) إشارة إلى أن النماذج السلبية المطروحة جاءت من ولادات قشرية أفرزها نظام قائم على القهر والحرمان وظلم السلطة، ويوحي للمشاهد أن هذه العلاقة تكون في متلازمة أبدية ما دامت هنالك سلطة!.

ويعدّ (الهروب) للمؤلف بلال فضل وإخراج محمد علي وبطولة كريم عبد العزيز،أول مسلسل درامي مصري بعد الثورة يتناول قضية بطالة الشباب الجامعي والقهر الذي يتعرض له المواطن العادي من ظلم السلطة، وعشوائية أجهزة امن الدولة في مطاردة من هو موضع شبهة، وفوضى التحكم بمصائر الناس. والمسلسل يحكي قصة المهندس محمود(كريم عبد العزيز) تخرج من الجامعة بتفوق ولم يجد وظيفة مناسبة، ويتهم زورا في قضية امن دولة، فيسجن ويهرب في أيام اندلاع الثورة (يناير ٢٠١١) بعد أن فقد النظام سيطرته على السجون. ويشكّل هو وأبوه وأخوه ثلاثة محاور ،حيث يمثل هو موقف الشاب الجامعي الذي يسعى إلى تحقيق طموحه، واليائس من إصلاح الحال الذي يرى في الثورة أنها (راح تشيل فلان وتجيب علان ويبقى الظلم نفسه وأن عليه أن يخلع من البلد). فيما يمثل أبوه موقف القوى اليسارية صاحبة الخبرة النضالية الطويلة التي تتمسك بالأمل رغم خيباتها وفواجعها.. فيما يمثل أخوه، الشاب الجامعي الأصغر موقف الشباب الذي أشعل الثورة وألهب حماسة الجماهير المحرومة ومنحها القوة والشجاعة لتغير هتافاتها من (إسقاط الرئيس) إلى (الشعب يريد إسقاط النظام)، والذي يستشهد في موقعة (الجمل) بميدان التحرير،إشارة إلى أن أحلام الشباب الوردية ستجهض وأن ثمار الثورة سيقطفها من كان يتفرج عليها.

وتأتي اعترافات الشخصية المثيرة للجدل(اعتماد خورشيد)لتشكل أقبح فضائح أجهزة المخابرات والأمن والأنظمة الدكتاتورية العربية وتعاونها في ما بينها، حيث ذكرت أنها حملت رسالة بالشمع الأحمر من صلاح نصر وسلمتها باليد إلى صدام حسين.وفي اعترافاتها التي كانت قد نشرتها في الصحف المصرية ومحطة مصر الفضائية ،وأعادت تأكيدها عبر فضائية الحياة قبل أيام(٧ آب ٢٠١٢) ما يصعب تصديقه،ليس في بشاعة وقساوة أجهزة المخابرات في التعذيب بل في الانحطاط الأخلاقي والشذوذ الجنسي الذي كان يمارسه (صلاح نصر) رئيس جهاز المخابرات المصرية الأسبق.فلقد أفادت بأنه أجبر زوجها على تطليقها ليتزوج منها وهي حامل في شهرها السابع وليكون زوجها أحد شاهدين يوقعان على عقد الزواج!.وأكدت أنه جنّد الكثير من الفنانات لإقامة علاقات مع ضباط وسياسيين كبار،بينهن (سعاد حسني)التي عمل لها فخا جرى فيه تصويرها بوضع فاضح..وانتهت قتيلة وليست منتحرة في عمارة بلندن تملكها المخابرات المصرية بحسب اعترافها.

يحدث هذا في أكثر دول العالم فشلا

وما يجعلك تفغر فاك هولا أن رئيس جهاز المخابرات المصرية كان يقيم في بيته طقسا ليليا باسم (السمو الروحاني)يمارس فيه الرجال اللواط وكل أنواع الشذوذ الجنسي.واللافت ،وهذا يحتاج إلى تحليل نفسي،أن نماذج أجهزة النظام التي طرحتها مسلسلات فضح السلطة إما أن تكون مصابة بالشذوذ الجنسي أو أنها ساقطة أخلاقيا تستخدم الجنس للسيطرة على الخصم أو المسؤول السياسي كما فعل (صفوت الشريف)الذي عمل مقلبا فاضحا لـ" علاء" ابن الرئيس مبارك للسيطرة على مبارك نفسه!.

لكن البعد الأهم والأخطر ،ليس بتوريط الآخر بفضائح جنسية بهدف السيطرة عليه،إنما هو إفساد أخلاق الناس.إذ تدرك الأجهزة الأمنية والمخابراتية في الأنظمة الدكتاتورية أن إفساد أخلاق الناس هو أقوى سلاحا من التعذيب،وأنه الوسيلة الأكثر ضمانة في ديمومة بقاء الحاكم في السلطة.

ومع أن الأنظمة "الديمقراطية" العربية ينبغي أن تستوعب الدرس،إلا أن واقع الحال يشير إلى أن " الحاكم" عندنا ورث من أسلافه الحكام خصلتين:سيكولوجيا الخليفة..أي البقاء في السلطة إلى أن يخصه عزرائيل بالزيارة ،وفوبيا الخوف من الناس..وكلاهما يضطرانه إلى اعتماد أجهزة مخابرات وأمن تمارس نفس أساليب سابقاتها،والاستعانة بذوي الخبرة من رجالاتها السابقين،حتى وإن كانوا مجرمين!

ولقد راعنا حقا ما ذكرته تقارير صحفية أفادت بأن مسؤولين في الحكومة العراقية وضعوا كاميرات خفية وأجهزة تنصت سرية في بيوت وأماكن عمل "خصومهم" السياسيين مع أنهم في حكومة شراكة وطنية!لاستخدامها في السيطرة عليهم بنفس الطريقة التي كان يستخدمها صلاح نصر وصفوت الشريف.فإن صحّت هذه التقارير،ونرجو أن لا تكون صحيحة،عندها تكون الكارثة قد اكتملت مقوماتها.. مع أنهم ليسوا بحاجة لها.فحين يصل الحال إلى أن الناس صارت تعدّ الفساد " شطارة" وليس خزيا كما كان،وحين يتفق الجميع:الحكومة،والكتل السياسية،والمرجعية ،والناس..على أن الحكومة الحالية هي أفسد حكومة في تاريخ العراق والمنطقة، وأن العراق هو الآن ضمن الدول العشر الأكثر فشلا في العالم بحسب تقرير علمي أمريكي،وأنه صار ثاني دولة بالعالم في تصدير النفط، وأن حكّامه الذين عادوا إلى العراق ،ومعظمهم لا يملك ثمن تذكرة الطائرة، صاروا أصحاب مليارات وعقارات.. فإن الدراما العراقية تنتظرها مسلسلات تروي فيها للأجيال كيف أن إفساد أخلاق الناس في الزمن الديمقراطي هو أقوى من أساليب أجهزة مخابرات وأمن الأنظمة الدكتاتورية،وأضمن في إبقاء الحاكم بالسلطة،وكيف أن الديمقراطية تجعل الشعب مستكينا مع أنه كان الأكثر ثورات ضد الظلم،وكيف أن فيه ملايين تحت خط الفقر مع أنهم يعيشون في أغنى بلد في العالم..وفي نظام ديمقراطي هم جاءوا بحكّامه!

# يختلفون على نصرالله وقرضاوي وينسون دورهم الرقابي

□ يوسف علوان

نقلت وكالات الأنباء أن جلسة مجلس النواب شهدت سجالات ساخنة وبيانات استنكارية على
خلفية برنامج تلفزيوني مثير للجدل بثته قناة الرشيد الفضائية ، شتم فيه أحد أعضاء القائمة العراقية زعيم حزب الله السيد حسن نصر الله ونعته بالكذاب. فيما أشاد بزوجة أمير قطر "الشيخة موزة" حين مدحها ووصفها بالمحترمة .
وانتقد رئيس التحالف الوطني بشدة تصريحات النائب المسيئة، واصفا إياها بـ"الوقاحة"، وعلى النائب أن يعتذرعما تفوه به،" و يجب أن يكون الاعتذار أمام الملأ كما أساء للسيد نصر الله أمام الملأ".
وكان النائب سلمان الجميلي رئيس كتلة العراقية قد أيد ضرورة الحفاظ على الرموز الدينية. إلا انه أشار إلى أن أحد نواب التحالف الوطني انتقد يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين .
وقد دعا أحد نواب ائتلاف دولة القانون التحالف الوطني إلى الانسحاب من جلسة مجلس النواب لاعتراضه الشديد على كلمة النائب عن القائمة العراقية سلمان الجميلي.
وذكر مصدر برلماني أن "الشحماني اعترض بشدة على الجميلي خلال إلقائه كلمة استنكر فيها التطاول على يوسف القرضاوي من قبل أحد نواب التحالف الوطني"، معتبرا إياها "تسويغاً للإساءة إلى السيد حسن نصر الله".
ونتمنى أن تكون هذه "السجالات" الساخنة و"البيانات" الاستنكارية تدور حول الأزمات التي يعانيها البلد وعلى رأسها الوضع الأمني، والكهرباء، والبطالة، والحصة التموينية وشح مياه الشرب الذي استفحل في الآونة الأخيرة في العاصمة بغداد، وفي محافظات البلد الأخرى بشكل أكبر. كذلك كان الأولى على "ممثلي الشعب" أن ينجزوا ما مرسوم إنجازه خلال هذه الفترة من قوانين تعالج مشاكل الشعب الذي ابتلى بهم، وأن يصدروا قانون انتخابات مجالس المحافظات، وتشكيل مفوضية جديدة للانتخابات ومعالجة أمور البلد الكثيرة، التي أوصلت الناس إلى حالة من اليأس، لعدم استطاعة هؤلاء النواب، الذين لا همّ لهم سوى امتيازاتهم ورواتبهم وسفراتهم خارج العراق، بدلاً من هذه السجالات التي لا تعني الشعب العراقي بشيء.
أين واجبات النواب في مراقبة الوزراء المقصرين ومحاسبة وزاراتهم على هذا التقصير .في آخر تقرير صدر يوم ١٤ نيسان الماضي كشفت اللجنة المالية في مجلس النواب العراقي، عن تدني معدلات تنفيذ الوزارات ومجالس المحافظات موازنة العام الماضي التي بلغت للوزارات ٤٩٪ ولمجالس المحافظات ٤٥٪ بالاعتماد على تقرير لوزارة التخطيط.
والجدير بالذكر أن الفقرة رابعا من المادة العاشرة من قانون الموازنة العامة لعام ٢٠١١ أشارت إلى أن "لمجلس النواب سحب الثقة من الوزير أو رئيس الجهة غير المرتبطة بوزارة في حالة عدم تنفيذ ما نسبته (٧٥ ٪) من التخصيصات الاستثمارية لوزارته أو دائرته من الموازنة العامة الاتحادية".
وقد كشف أحد أعضاء الائتلاف الوطني عن بعض نسب إنجاز الوزارات التي أوردها تقرير وزارة التخطيط ومنها: وزارة النفط ١٥٪ ووزارة الكهرباء ١٤٪ فقط، ووزارة الشباب والرياضة ٢٨٪ ،ووزارة النقل ١٥٪ بينما جاءت وزارتا التربية والصحة أقل الوزارات بنسبة الصرف، إذ بلغت الأولى ٥٪ والثانية ٤٪..
و قد عبر المالكي عن عدم رضاه عن تنفيذ المشاريع خلال العام الحالي في غالبية المحافظات التي اعتمدت تنفيذ مشاريع بطريقة انتقائية وليس بالاعتماد على الحاجة الفعلية والضرورة لتلك المشاريع، غير أن هذا المجلس الموقر الذي يتخاصم أعضاؤه حول إشكالات لا تهم الشعب العراقي لم يحرك ساكناً لمثل هذا القصور في واجبات الوزراء ومجالس المحافظات.
لم تتحرك حمية أعضاء مجلس النواب عندما أعلن أن "لجنة النفط والطاقة النيابية تضغط على الحكومة لإلزامها بعدد من الخطوات لزيادة إنتاج الكهرباء أهمها اللجوء إلى الاستثمار الحقيقي للطاقة الكهربائية وإعطاء الصلاحيات الكاملة للمحافظات لإنتاج الكهرباء" لم يتساءل هؤلاء النواب المحترمون ولماذا هذا الانتظار سنوات طويلة قضاها هذا الشعب المسكين في معاناة لم تمر على شعب غيره في صيف لاهب وشتاء أظلم؟ وأين ذهبت هذه الأموال التي رصدت للكهرباء وزادت على الـ٢٧ مليار دولار دون أن تتحسن بقدر بسيط قدرات هذه الوزارة التي لم يسألها أحدهم أين ذهبت تلك الأموال. فلماذا لم تتحرك حمية هؤلاء النواب الأشاوس عندما ضاعت هدراً هذه الأموال؟
وأين دور مجلس النواب من فشل وزارة التجارة في تجهيز المواطنين بحصتهم التموينية، مع رداءة النوعيات وانكماش أنواعها إلى أربع مواد فقط! لا يتسلم المواطن منها إلا ما ندر؟ وأين موقف مجلس النواب من عجز الوزارة عن محاربة الفساد الذي يحيط بالحصة التموينية واعترافها بكل ممنونية أنها فشلت في إيصال الحصة لأكثر المواطنين، لذلك فكرت في أن تتولى شركات عالمية توفير هذه المواد للمواطن! فما دور هذه الوزارة في هدر الأموال الكبيرة التي رصدت للحصة التموينية.
وقد قدرت وزارة التجارة عملية توزيع المواد التموينية من قبل الشركات أنها ستكلف تقريباً ٨٠٠ مليون دولار فقط! ولم تستكثر الوزارة هذا المبلغ.. بل برزت ذلك أن الفساد يأخذ أكثر من هذا المبلغ!
فأي دور لكم يا مجلس النواب في محاسبة هذه الوزارات التي باتت تعترف هي بفشلها وعدم قدرتها على إنجاز واجباتها.. فما الذي يعنيه ذلك؟ نجاح من نوع آخر.. كما يفهمه نوابنا الذي انشغلوا في خلافاتهم التي لا تنتهي وشملت كل أمور الحكومة الداخلية والخارجية.. والتي سميت بأسماء مختلفة.. كل فريق يسميها بما يروق له أن يسميها.. كذلك تعتبرها هذه الفرق بالإنجازات التي على مجلس النواب أن يرفع الشكر لهذه الوزارات التي اكتشفت فشلها في عملها بعد هذه السنين الطويلة..
فأين دور مجلس النواب الرقابي... وأين دور السلطات التنفيذية وأين دور السلطات القضائية؟ أين دور الهيئات المستقلة.. التي وجدت لتحمي العملية السياسية من هذا العبث الذي بات مكشوفاً للجميع.. أين دور القضاء الذي ظل عاجزاً عن مراقبة القوانين التي يصدرها مجلس النواب ومدى شرعية هذه القوانين لنصوص الدستور ؟

# الإنسان يصنع المستقبل

□علي عبد الحسين محمد

إن الإنسان هو صانع لمستقبله وقدره ومصيره عن طريق الاستخدام الأمثل لقواه الذهنية، وملكاته العقلية وقدراته الإبداعية في التغلب على الصعوبات ومعوقات التقدم والارتقاء. فالعامل البشري هو الأساس في اختراع المستقبل ونشر فكرة التقدم، ولكن إلى جانب ذلك كانت هناك ريح الحرية التي بدأت تهب على الساحل الشرقي من العالم الجديد، وتمتد إلى الساحل الغربي من العالم القديم (أوروبا) لتغير حياته تغييرا جذريا لن يرجع بعده أبدا إلى ما كان عليه، فلن يقف شيء أمام انتشار الحرية التي سوف تساعد الإنسان على تشكيل حياته ومستقبله باختياره هو الحر الطليق .

ففي أي مجتمع يقوم على القهر والتحكم والخضوع للأوامر الصارمة توجد بذور التغيير الصادرة عن الإحساس بالتوتر والإحباط نتيجة التباين بين ما هو موجود وما يجب أن يوجد،وكثيرا ما يصل هذا التوتر والإحباط إلى حد الانفجار حتى يتخلص المجتمع من حالة العبودية التي فرضها بنفسه على نفسه حين ارتضى الخضوع لحكم الملكيات المستبدة و الأحزاب، ولذلك يجب التخلص من الأساطير السياسية وإحلال العقل محل الخيال والوهم، وقد بلغ ذلك التوجه نحو تحكيم العقل في شؤون المستقبل ذروته مع بدايات القرن العشرين وظهور كتاب مرموقين اهتموا بالمستقبل وكان لهم دور في رفع حماسة الشباب وشحذ الهمم ، وكان من أبرزهم الكاتب الإنجليزي( إتش جي ولز) وكتابه (اكتشاف المستقبل) الذي صدر في عام ١٩٠٢ حيث كان من أوائل الأعمال التي تقوم على أساس الفكر المستقبلي ،و مع التطور بدأ علماء الاجتماع في الولايات المتحدة بإدلاء آرائهم وبحوثهم حول دور الإنسان في صناعة المستقبل أو اختراعه وربما كان من أوائل هؤلاء العلماء (وليام أوجبرن ) الذي كان يجمع بين علم الاجتماع والإحصاء، وحاول أن يبين الاتجاهات الأساسية في المجتمع الأمريكي في الثلاثينات في عدد من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية، وكان ذلك ركيزة لقيام الفكر المستقبلي الحديث، وقد شهدت الفترة بين الأربعينات والستينات من القرن الماضي الأسس المنهجية للبحوث المستقبلية بأسلوب أكاديمي دقيق، كما شهدت العقود التالية ظهور عدد كبير من الكتّاب والمفكرين المستقبليين، وتفاوتت في المناهج وطرق البحث وأساليب التفكير وظهرت أسماء مثل ( وآرثر كلارك) و (أيزاك آسيموف) وبدأت الأجيال التالية تنظر إلى المستقبل من زاوية التفكير الشامل في كل شيء و خاصة بعد اكتشاف الفضاء والاكتشافات العلمية وفي مجال الوراثة الجينية مع اتساع نطاق الرؤية المستقبلية أوجدت مجالات جديدة تماما مثل البيئة وبعض المجالات الأخرى،والتي تعتمد على التفكير العقلاني والتجريب والتطورات التكنولوجية المتسارعة ، وظهر ما يبشر بان ما يبدو خياليا، أو مجرد وهم في الوقت الراهن سوف يتحقق في المستقبل من خلال الجهد البشري كما في كتاب (صدمة المستقبل)للمؤلف (لي توفلر)الصادر في عام (١٩٧٠) الذي يدعو للتخلص من أعباء الماضي وعبودية الحاضر .

ويذكر لنا التاريخ أسماء نجحت بالرغم من المعوقات التي كانت موجودة، ولو إننا استسلمنا للمعوقات لما استطعنا حتى القراءة وهذه التغيرات السريعة هي التي أدت إلى ظهور جماعة (المستقبليين) الشهيرة في الولايات المتحدة وأنشطتها وإصداراتها العلمية ومجلتها التي تعرضت لكثير من مشكلات المستقبل والتفكير المستقبلي على مستوى علمي رفيع.

وقد يذهب بعض هؤلاء المستقبليين إلى أنه إذا كان في الإمكان التنبؤ بالمستقبل فإن ذلك معناه أن المستقبل غير قابل للتغيير، بينما نحن نشغل أنفسنا طيلة الوقت بالبحث عن الطرق والوسائل التي تساعد على تشكيله وصياغته أو اختراعه. فالإنسان لا يستسلم تماما للمستقبل، وإنما هو يصوغه ويخترعه ويصنعه ، وأوضحت (مجلة المستقبل) مجموعة من الاحتمالات التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار لاختراع المستقبل الذي يمكن تحقيقه خلال العقدين القادمين وهي احتمالات تعتمد إلى حد كبير على قراءة الواقع والتغييرات التي تطرأ عليه وما يمكن أن تؤدي إليه هذه التطورات؛ فثمة احتمال نقص المياه المؤدي للجفاف إلى جانب التزايد الرهيب في استهلاك الموارد الطبيعية ، والتدهور البيئي مما يتطلب وجود وسائل فعالة للسيطرة على ذلك ،وجانب كبير مما سيحدث في المستقبل يتوقف على تصرف الإنسان نفسه، لأن المستقبل هو قرار بشري قبل كل شيء، ففي عالم سريع التغير يحتاج الأمر إلى سرعة اتخاذ القرار والتخطيط السريع المدروسين، مع الأخذ في الاعتبار أن مشكلة عدم التخطيط سائدة في دول العالم الثالث ،ففي العراق مثلاً أن النفط سينضب في يوم ما أو على الأقل حدوث مشاكل تؤدي إلى عدم القدرة على تصديره ،فهل قام العراق بوضع خطط مستقبلية لتفادي تلك المشكلة ،وهناك مشاكل أكثر حدة في الزراعة والصناعة كفيلتان بازدهار وتقدم ومستقبل البلد ،و في النهاية يحتاج اختراع المستقبل إلى وقت وجهد وتفكير وثقافة واتساع أفق وقدرة على التخيل والإبداع مع وجود الرغبة في التأمل بالمستقبل والإحاطة بأوضاع العالم، فكل إنسان يساهم بشكل أو بآخر في بناء وتشكيل المستقبل،وآمل أن يكون مجتمعنا مدركا لهذه الحقيقة .